

بسم الله الرحمن الرحيم

منتدى الرواية

المنصة الرقمية لمناقشة الروايات السودانية

الندوة رقم ٦

للروائي السوداني محمد الطيب

قراءة في رواية (روحسد) للروائي الشاب محمد الطيب صلاح محمد الحسن القويضي

قراءتي للرواية صادرة عن الدار العربية للعلوم في 224 صفحة - جعلتني أتفق مع الناقد موافي يوسف في أنها (رواية مختلفة). ورغم أنني لا أزمع سعة إطلاع على منتوجنا السردي في السودان إلا أن قراءتي تجعلني قادراً على الحكم على الرواية بأنها إضافة متميزة لديوان الرواية السودانية.

- دلالات العنوان (روحسد):

وقبل الدخول في مسوغات حكمي بهذا الاختلاف أود أن أتناول بعض الملامح التي شدتني للرواية وجعلتني أقرأها في يومين فقط. أول ما شدني للرواية عنوانها (روحسد) والذي أوحى لي بثنائية الروح والجسد وهما المكونان الأساسيان للنفس البشرية فتمنيتها رواية كاشفة للأعماق نفس شخوصها.

يشترك أسم الرواية في الدمج بين كلمتين في كلمة واحدة لإبراز الثنائية مع رواية (مارخدر) لعمر الصائم الذي أراد بالعنوان الإشارة للقديس المسيحي القبطي "مار جرجس" ونظيره في الثقافة الإسلامية "الخضر". كما تشترك في ذلك مع رواية (جنوكورو) للروائي جمال الدين علي الذي مزج بين أول كلمة (جنوب) وآخر كلمة

(مندوكورو) في إشارة رامزة لجنوب وشمال السودان والوحدة في إطار التنوع.

الرواية لم تخذل توقعي. فقد استطاع محمد الطيب عبر استخدامه البارع لأدوات وفنون السرد (حكي - وصف - حوار - منولوج - تداعي - وصف - فلاش باك - شعر - اقتباس...الخ) أن يلقي بالضوء الكاشف على الحياة الروحية والمادية لشخص روايته الأساسيين والثانويين. أقول (الثانويين) بتحفظ شديد. فكل شخص الرواية تبذوا أساسية أو على الأقل ضرورة لتماسك البناء السردى للرواية.

التقنية التي أستخدمها محمد الطيب في بناء روايته تعتمد على (الشخص المرآيا) التي تعكس وتلقي الضوء على الشخصية الرئيسية وعلى بعضها البعض. وهي تقنية استخدمها قبله (من الكتاب الشباب) عثمان شنقر في روايته (ذكرى حروب قادمة) والدكتورة إيمان المازري في روايتها (عمران) وعمر الصايم - بدرجة أقل - في روايته (مارخدر) والدكتورة إيمان المازري في روايتها (عمران) والروائي محمد سيف الدولة في (امي وحكايات المدينة عرب). ولا يعني ذلك التشابه أو التناسخ. فكل منهم استخدم تلك التقنية بطريقته المختلفة.

- دلالة الاقتباس من ابن عربي:

يورد محمد الطيب في بداية روايته الاقتباس التالي من الشيخ الصوفي الأكبر ابن عربي.

للناس حج وأنا لي حج إلى بدني

تهدي الأضاحي وأهدي مهجتي

والاقتباس نص موازي يوجه القارئ في رحلته عبر الرواية لدلالات العنوان الرئيسي للروية الذي دمج بين كلمتي (الروح) والجسد مقدما الروح في دلالة ضمنية تتسق مع النص المقتبس لابن عربي والصوفية عموما - الذين يقدمون الروح على الجسد - ولا يتوانون عن الدعوة والعمل من أجل إفناء الجسد في خدمة الروح وترقيتها والسمو بها في مدارك الكمال. ولعل خواتيم الرواية تتفق مع هذا الاستهلال في إهداء (إفناء) الذات وإن تعددت الأسباب.

- البناء الروائي:

قدم محمد الطيب نصه السردى في سبعة فصول - كشف ترقيمتها وتسميتها بطريقة وترتيب محدد بحيث يكتشف القاري أنه أمام

روايتين على الأقل - بل أمام عدة نصوص سردية متوازية ومتداخلة - لكنها مروكبة بإحكام في نص واحد. فالفصل الأول من الرواية يبدأ بعنوان فرعي (سليم الصوفي) مقدا لنا واحدة من شخصيتين رئيسيتين في الرواية في عالمه المكاني (السجن). يقدم سليم الصوفي عوالمه ويعرفنا بذاته عبر (مونولوج) طويل. وخلال الفصل يقدم الكاتب عبر سليم الصوفي أسئلة الرواية تاركا الإجابات لبقية الفصول.

من خلال فصل الرواية لأول يكشف الكاتب - عبر السرد وليس مباشرة - كشف خطة الرواية باعتبارها (رواية حول الرواية). والرواية حول الرواية كما يرى كثير من نقادنا المعاصرين واحدة من خصائص رواية ما بعد الحداثة. لكنني أخالفهم في ذلك وأزعم أن الرواية حول الرواية توجه قوي انتشر زمانيا خارج هذه الحداثة المزعومة. فقد كتب لميخائيل بولغاكوف روايته (الشيطان يزور موسكو) أو (المعلم ومارغريتا) بأكملها حول (مصائر مخطوطة رواية) هي روايته ذاتها (أو إحدى الروايتين المضمنتين بها).

الفصل الأول لرواية (روحسد) مفتاحي وهام قدم فيه محمد الطيب التفاصيل الدقيقة لحياة السجن الذي هو عالم شخصيته الرئيسية. غير أنني أعتقد أن ذلك التقديم رغم ضرورته شابته بعض الإطالة. وفي هذا الكشف لعوالم سليم الصوفي المكانية وظروف حياته كسجين متهم بقتل أمه استخدم محمد الطيب عدة تقنيات سردية منتقلا بين التداعي الحر والمونولوج والحواريات (السجين السجان) (السجين والمكان) (السجين والروائي الزائر) خيرى عبد العزيز خيرى.

- أجاد محمد الطيب استخدام الحوار كوسيط سردي مستخدما اللغة العربية الفصحى المبسطة) في غياب شبه تام للعامية السودانية أعتقد أنه مقصود كون الرواية تطبع وتنشر خارج السودان.

- من خلال حواريات الفصل الأول استطاع محمد الطيب إبراز الاختلاف بين (سليم الصوفي) السجين و (خيرى عبد العزيز خيرى) في مستويات التفكير ومنطقاتها. كما استطاع أن يجيد في استخدام المفردات للكشف عن الدواخل والمظاهر والسخرية وإبداء المرارة.

- (رونق) عنوان جانبي داخل الفصل الأول. التقنية الأساسية فيه هي التداعي - المونولوج كمقابل للحوار. استخدم الكاتب تداعيات (رونق) كمرآة لعكس جوانب من صورة خيرى عبد العزيز خيرى. وقدمت (رونق) عددا من أعمال الروائي خيرى عبد العزيز (ايلات) (ماموزا) في باب آخر

عن رواية أخرى وروائي آخر. ثم قدمت سيرتها الذاتية (هنا أيضا تفصيل شابه التطويل). في هذا الباب عوض الكاتب عن غياب العامية السودانية بإيراد عدد من الأسماء السودانية المحلية في إضاءة تعريفية بفضاء الرواية المكاني. (الخرطوم - قناة المقرن - قناة الفونج - كوثر).

- (كوثر) عنوان لباب آخر تتداعى فيه الفتاة كاشفة لإبعاد أخرى في شخصيات الرواية وتستعرض فيه همومها من سياسة وحلم المعاصرة والتجديد الشكلي وحلمها في أن تصير رقما في عالم الكتابة وكيف تحقق الحلم.

- كتأكيد لرؤية (الرواية داخل الرواية) أو (الرواية عن الرواية) يأتي العنوان التالي في النص (خيرى - مسودة رواية طين لازب - الفصل الأول. ثم تتوالى العناوين الداخلية (الفصل الثاني) (رونق) (سليم الصوفي) (كوثر) (خيرى مسودة رواية طين لازب - الفصل الثاني) (الفصل الثالث) (رونق) (سليم الصوفي) (كوثر) (خيرى) (مسودة رواية طين لازب-الفصل الثاني...تكملة) الفصل الرابع (رونق) مقتطف من رواية (ايلات) - ص 184 (سليم الصوفي) (كوثر) (خيرى) (رواية طين لازب - الفصل الثالث) (الفصل الخامس) (سليم الصوفي) (رونق) (كوثر) (خيرى) (مسودة رواية طين لازب) الفصل السادس (سليم الصوفي) (رونق) (الاثنين الثاني / سبتمبر / 2013م) (رواية ايلات ص 212) (كوثر) (خيرى) (رواية طين لازب - الفصل السادس) الفصل السابع (سليم الصوفي) (رونق) (الأربعاء الثاني / سبتمبر / 2013م) (كوثر) (خيرى) (رواية طين لازب) (الفصل السادس) (الفصل الثامن) (سليم الصوفي) (رونق) (كوثر) (خيرى) (مسودة رواية طين لازب) (الفصل السابع).

- العنونة الجانبية - والتي قد تبدو مربكة للوهلة الأولى - مقصودة ومتحراة بعناية لتأكيد فكرة (الرواية- مسودة الرواية - الرواية في الرواية - الرواية عن الرواية). فكرة ذلك الروائي الذي أتى للسجن ليكتشف دواخل السجين (سليم) ويكتب عنه رواية فانكشفت دواخله هو وأصبح شخصية رئيسية في الرواية التي أراد - أو أريد - كتابتها. ثم انتهى كائنا برزخيا في عالم آخر...

لا أعد بالعودة للرواية بعد قراءتها مرة أخرى (فهي جديرة بقراءة ثانية بعد القراء الأولى اللاهثة) ولكن أتمنى أن أتمكن من ذلك لأتحدث عن

جوانب أخرى جعل من رواية (روحسد) إضافة بطعم مختلف لديوان
الرواية السودانية.